تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث

يشهد الاجتماع السياسي العربي، في هذا الطور من أطوار تاريخه، تحولاتٍ عميقةً متراكبة، تتداخل فيها أزماتُ الدولة القومية، وتصدُّعات المجال العام، واضطرابات المجتمع المدني والأهلي، وتنازع صور الشرعية والتمثيل والهيمنة. وقد كشفت الوقائع التي تعاقبت على منطقتنا في العقود الأخيرة -ولا سيما ما اتصل منها بالحراكات الشعبية، والعنف المؤسَّسي، واضطراب العلاقة بين المجتمع وأنظمة الحكم- عن قصورٍ بَيِّنٍ في جملةٍ من المقاربات التي دأبت على النظر إلى المجال السياسي من الأعلى، مكتفيةً بمراقبة البُنى الرسمية الدستورية والتشريعية، وأشكال التنظيم الظاهرة، من غير نفاذٍ كافٍ إلى ما يجري في الطبقات الأعمق من الاجتماع؛ حيث تتكوَّن الطاعة، وتتوزَّع الولاءات، وتتشكَّل أنماط التبعية والتدافع، وتتخلَّق صور الانتماء والانفصال في الآن نفسِه.

ومن هنا تشتدُّ الحاجة إلى أدواتٍ نظرية أوسع مجالًا، وأنفذ إلى الباطن الاجتماعي للسياسة، وأقدر على إدراك ما يتولَّد في الحياة اليومية من معاني القوة، ومظاهر الامتثال، ومسالك التحايل، وصيغ المقاومة الخفيَّة. وفي هذا السياق تبرز الأنثروبولوجيا السياسية بوصفها حقلًا معرفيًّا يردُّ المجال السياسي إلى موطن تشكُّله الفعلي، فلا يعامله على أنه شأنُ المؤسسات وحدها، ولا يقصره على أجهزة الحكم وآلياتها المعلنة، وإنما ينظر إليه من حيث هو نسيجٌ حيٌّ من العلاقات والرموز والأساطير والمصالح والتصورات والممارسات، تتشابك فيه الدولة بالمجتمع، والقانون بالعُرف، والسلطة بالتمثُّلات الاجتماعية، والخطاب بالفعل.

ولعل أخصَّ ما تمتاز به هذه المقاربة أنها تنزع عن الدولة ذلك الطابعَ الصلبَ المكتفي بذاته، الذي كثيرًا ما توهمه الأدبياتُ المدرسية، لتعيد النظر فيها من حيثُ هي أَثَر متجدِّد لعلاقات القوة، وعملية تاريخية واجتماعية لا تنفصل عن البنى التي تسندها، ولا عن الخطابات التي تكسوها المشروعية، ولا عن الممارسات اليومية

التـي تُعيـد إنتاجها في الوعي والسـلوك. وبذلـك تغدو الأنثروبولوجيا السياسـية بابًا لفهـم المجـال السياسـي لا فـي صورته الرسـمية وحدها، بـل في تجلياتـه المضمرة أيضًـا، حيـث تشـتغل الهيمنـةُ صامتـةً حينًـا، ومعلنةً حينًـا، وحيث لا يكون الإنسـان العاديُّ متلقيًا سلبيًّا على الدوام، بل فاعلًا يعيد التكيُّف والتأويل والمداورة والرفض على أنحاء شتَّى.

وانطلاقًا من عناية **مركز نهوض للدراسـات والبحوث** بتقديم الأعمال التأسيسـية الرصينة في حقول الاجتماع والأنثروبولوجيا والعلوم الإنسـانية، فإنه يضع بين يدي القـارئ العربـي كتابَ «**نصوص تأسيسـية فـي الأنثروبولوجيا السياسـية**». وهو عملٌ يضـمُّ مختاراتٍ أسـهم في نقلها إلـى العربية جملةٌ من المترجميـن، وتولَّى تحريرها ومراجعتها الأستاذ عبد الله سامي أبو لوز، وقد جاء هذا الكتاب ليسدَّ نقصًا ظاهرًا في المكتبـة العربيـة، ويُقدِّم مدخلًا علميًّـا متينًا إلى حقلٍ لا يزال حضوره العربي دون ما يستحقُّه من العناية.

وقـد عمد المحرر إلى تقسـيم العمل إلى ثلاثة أقسـام رئيسـة، ليأخـذ القارئ من الأصول والنظريات، إلى مساءلة الدولة، ثم إلى تطبيقات الحقل في قضايا معاصرة. فأمـا **القسـم الأول** فينهـض بتأسـيس أرضيـة نظريـة تُعـرِّف بتطـوُّر الأنثروبولوجيـا السياسية، وتتبُّع مسار تشكُّل الدولة، ثم تقف عند صعوبة دراسة الدولة نفسها، لا من حيـثُ هـي جهـاز ظاهـر فحسـب، وإنما مـن حيثُ هـي بنية ملتبسـة على المسـتوى السياسـي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي. وأما **القسـم الثاني** فيغوص في صلب أنثروبولوجيـا الدولـة، مـن خلال النظر في أصـول الحكم وطبيعته، ومأسسـة القوة، والعلاقـة بيـن القبيلـة وتكويـن الدولـة في الشـرق الأوسـط، بما يجـاوز التصورات التبسـيطية التـي تجعل القبيلة نقيضًـا للدولة أو أثرًا من آثار ما قبل السياسـة. ثم يأتي **القسم الثالث** ليمدَّ النظر إلى تطبيقاتٍ حديثة، تتناول إثنوغرافيا القوة ودراسة النُّخَب، والاشـتغال الميداني داخل البيروقراطيـات، وإعادة التفكير في نظريات المؤامرة في سياقاتها الاجتماعية والسياسية.

ومن ثَمَّ فإن الغاية من إتاحة هذه النصوص لا تقف عند حدود النقل، ولا تنحصر فـي سـدِّ فـراغٍ ببليوغرافيٍّ فحسـب، وإنما تتصل بالسـعي إلى قـراءةٍ أعمـق لواقعنا،

تتجاوز التحليلات الفوقية وأوصاف البنى السياسية والمؤسسية، إلى نظرٍ في المجال السياسي كما يتكوَّن في الحياة الاجتماعية نفسها، حيث تتشكَّل القناعات، وتُمارَس السلطة، وتتحدَّد المسافات بين الحاكم والمحكوم، وتظهر وجوهُ الامتثال والرفض والتكيُّف. ويرجو المركز أن يكون هذا الإصدار إسهامًا في ترسيخ هذا الحقل في العربية، ودافعًا إلى مزيدٍ من الإفادة من مناهجه قراءةً وترجمةً وتأليفًا وبحثًا ميدانيًّا، بما يردُّ السياسة إلى مادتها الاجتماعية والثقافية وتجلياتها اليومية.

ويُعَدُّ هذا الكتاب حلقةً متصلةً بجملة أعمالٍ تأسيسية في هذا الحقل وما يجاوره سبق أن نشرها المركز، مثل: «**مدخل إلى علم الاجتماع**» لشهاب اليحياوي، و«**عندما يثور البسطاء: مقاربات أنثروبولوجية للثورات السياسية**» لبيورن توماسون، و«**مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا: تاريخه ومدارسه ونظرياته**» لروبير دولييج، و«**مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: مداخل وتطبيقات**» للوك فان كامبنهود وآخرين.